

## الخصائص الأسلوبية في ديوان الحسين بن الضحاك البنية التصويرية أنموذجاً

د.علي أحمد عمران

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب المساعد

الجامعة الأهلية - مملكة البحرين

[dr.aliomran@hotmail.com](mailto:dr.aliomran@hotmail.com)

### الملخص

تعدُّ البنية التصويرية من البنى المميزة للنص الأدبي، إذ هي المحور الذي يجذب إلى فضائها وجدان المرسل إليه، وكلما كانت البنية التصويرية تحاكي المعاني كانت أكبر شأواً وأبعد غوراً في الروح، وتميل البنية التصويرية في ديوان الحسين بن الضحاك إلى النسيج التصويري الطبيعي الخالي من كل كلفة. وقد عالجتنا في بحثنا هذا " الخصائص الأسلوبية في ديوان الحسين بن الضحاك: البنية التصويرية أنموذجاً"، مصادر البنية التصويرية في ديوان الحسين بن الضحاك وهي على قسمين: مصادر تجريبية، وأخرى ثقافية، ثم عالجت أبرز الصور البلاغية في ديوانه وهي: التشبيه، والاستعارة، والكناية، ثم درستُ دور البنية التصويرية في ديوانه، وهذه الأقسام الثلاثة بينت مميزات وخصائص أسلوبية للبنية التصويرية في شعره. وفي خاتمة البحث وضعتُ مجموعةً من النتائج التي توصلت إليها. الكلمات المفتاحية: البنية التصويرية، النص الأدبي، المعاني، الخصائص الأسلوبية، التشبيه، الاستعارة، الكناية. كلمات مفتاحية: القصص، المقارن، النقد، الأدب

تعد البنية التصويرية من البنى المميزة للنص الادبي ، إذ هي المحور الذي يجذب إلى فضائها وجدان المرسل إليه ، وكلما كانت البنية التصويرية تحاكي المعاني كانت أكبر شأواً وأبعد غوراً في الروح . والملاحظ على البنية التصويرية في شعر الحسين بن الضحاك ، أنها تميل إلى النسيج التصويري الطبيعي الخالي من كل كلفة .

فمن أين يستقي الحسين بن الضحاك صوره ؟

ما أبرز الصور البلاغية في ديوانه؟

وما اللافت لأنظارنا في تلك الصور ؟

وما دور البنية التصويرية في ديوانه ؟

ويمكنني تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : سأتناول فيه مصادر البنية التصويرية في ديوان الحسين بن الضحاك .

وفي القسم الثاني : سأتناول أبرز الصور البلاغية في ديوانه .

وفي القسم الثالث : سأبحث دور البنية التصويرية في ديوانه .

ففي القسم الأول سأبحث مصادر البنية التصويرية ،وهي قسمان تجريبية، واخرى ثقافية ، وفي القسم الثاني سأعالج أبرز الصور البلاغية في ديوانه ،وهي :

1- التشبيه

2- الاستعارة

3- الكناية

وفي القسم الثالث سأبحث دور البنية التصويرية في ديوانه .

فمن خلال تلك الأقسام الثلاثة ستركز مميزات وخصائص أسلوبية للبنية التصويرية في شعره .

**أولاً : مصادر البنية التصويرية في شعر الحسين بن الضحاك**

يمكنني تصنيف مصادر البنية التصويرية إلى صنفين : المصادر التجريبية ، والمصادر الثقافية .

(أ) المصادر التجريبية :

وهي المصادر التي لا بد من أن الشاعر جربها بمقتضى ملازمته ومعاصرتة الإنسان ووجوده في محيطه وبيئته ، وتشترك الصور المنتزعة من مصادر البنية التصويرية التجريبية في شيء آخر هو حلولها في ذهن الشاعر بفضل الطبيعة لا بفضل الثقافة . ومفهوم الطبيعة يتسع ويضيق حسب التبويب الذي يدرج في الدارس الكائنات والمهدف الذي يرمي إليه والميدان الذي يعمل في نطاقه ، فالطبيعة طبيعتان طبيعة جامدة وطبيعة متحركة .

### 1. الطبيعة الجامدة :

احتلت الطبيعة الجامدة مركز الصدارة في البنية التصويرية في شعر الحسين بن الضحاك فجعلها معياره الذي يلجأ إليه في عمليات التشبيه ، والمقارنة والتمثيل ، ويستلهم منها الصور الجميلة ويودعها الغلمان والنساء والمدوحين --- ولكن ما العناصر الطبيعية الجامدة المعتمدة ؟ وماهي هيئتها العامة ؟ ويمكن تصنيف الطبيعة الجامدة إلى صنفين : الصنف الأول : النور ومايتصل به من عناصر مشرقة . والصنف الثاني : النبات والسوائل ، والتضاريس ، وإطار الطبيعة العام .

#### النور

غلب على صور الحسين بن الضحاك في الطبيعة الجامدة النور ، ومايتصل به من عناصر مشرقة ، وقد خرجت الصورة عنده في ديوانه على صور وأشكال مختلفة ، منها ما ابتنى على مصادر النور ، ومنها ما ابتنى على مظاهره ، ومنها ما قام على العنصر الثاني الملازم للنور وهو الحرارة ، والنار وهذا لا يقع موقع الغرابة ، فالحسين بن الضحاك رجل عاشق يحتاج إلى أن يكسو معشوقه بالنور ومستلزماته تشبيهاً ، وأن يشعر بالحرارة والنار التي تحرق قلب العاشق شوقاً إلى من يحب ويعشق . ومن مصادر النور التي استخدمها الحسين بن الضحاك في ديوانه ، صورة الشمس ، والبدن ، والقمر ، والكوكب ، والثريا - فمثلاً قوله : ( على البحر الطويل : البيت 191 ) .

رمتك غداة السبت شمس من الخلد بسهم الهوى عمداً وموتك في العمد

وقد نزع الحسين بن الضحاك في التعبير عن النور بأساليب متنوعة ردد فيها كثيراً الألفاظ التي تدل عليه مثل الضياء ، والصبح ، والصبح ، والنار ، والبياض ،... والحرارة ، ومايدل عليها من كلمات مثل : نيران ، والحريق ، واللهب ، وقد اتخذ الحسين بن الضحاك من هذه المصادر صوراً لموضوعاته . وقد جاء النور سالباً أي الظلام ( الليل ) وهو أعظم شأناً وأكثر أهمية ، لذلك سندرس صورة الليل في شعره ، بعد دراسة أنواع الصور البلاغية في ديوانه .

أما الصنف الثاني من عناصر الطبيعة الجامدة التي اعتمدها الحسين بن الضحاك في التصوير فتضم ما اتصل بالنبات ، والسوائل ، والتضاريس ، وإطار الطبيعة العام . وقد كانت صورته من مدلول النبات تضم مايدل عليه مثل : الورد ، الاغصان ، الروع ' الربيع ، إلا أن صورة الورد والرياح تتميز عن بقية الصور هذه بكثرة اعتماده عليها نوعاً ما . ومن ذلك قوله : ( على بحر الطويل : البيت 130 ) .

وكالوردة الحمراء حيا بأحمر من الورد يمشي في قراطق كالورد

ومن ألفاظ السوائل أورد الماء ، والخمرة ، والظل ، والقاطول ، والفرات والظرف ، والعين ، واليد ، والدمع ، وقد أكثر من الخمرة حتى أسكرته ومن الدموع حتى أغرقته شوقاً إلى من يحب .

وكتقوله ( علي بحلا الكامل : البيت 526 )

بعضي بنار الحجر مات حريقاً والبعض اضحى بالدموع غريقاً

أما عن الطبيعة العامة وتضاريسها فقد ورد الكلمات التالية : السحاب ، والرياح ، والمطر ، والوسمي ، والليل ، والنهار ، والكوكب ، والسماء ، والرياح ، والجبل ،..

ومنها قوله : على بحر الوافر : البيت 799

هو الجبل الذي هوت المعالي لهدته وريع الصالحونا  
هذه العناصر اعتمدها الحسين بن الضحاك في إخراج صورته ويمكن اعتبارها مميزة لاختياراته لها في البنية التصويرية في ديوانه .

## 2. الطبيعة المتحركة :

المصدر الثاني الاساسي الذي استقى من الحسين بن الضحاك صورته هو عالم الحيوان , وقد ذكر لنا منه الحسين بن الضحاك أصناً مثل الحيوانات الأليفة كالظبي والطيور , والحيوانات المفترسة في ديوانه .  
ومن الحيوانات المفترسة ذكر لنا أسماء للأسد وهو الضيغم , والليث , والحزير  
وفي قوله : ( على بحر الكامل : البيت 505 )  
إني احذرکم بوادر ضيغم درب بحطم موائل الاعناق  
ومن الحيوانات الاليفة ذكر لنا الغزال , والظبي , والخيول , والكودن , والشادن ... , وكثرت هذه اللفظة الاخيرة في ديوانه لطالما شبه بها الغلمان .  
مثل قوله : ( على بحر المتقارب : البيت 568 )  
ألا ايها الشادن الاكلحل إلى كم تقول ولا تفعل  
وقوله : ( على بحر الوافر : البيت 844 )  
أما الحشرات والزواحف فلم نجد أي صورة لها في الديوان , وهكذا نرى أن صورة الشادن بكونها مقصورة على الغلام فقد تمزت بالاغلبية عن الحسين بن الضحاك في ديوانه . وقلت صور الحيوانات الاخرى , ولقد كرر لفظ الشادن والظبي والغزال وجميعها بصورة الغلام الجميل .  
ونلاحظ اتجاه الحسين بن الضحاك كان أكبر للطبيعة الجامدة منه إلى الطبيعة المتحركة , وأن مصادره فيها أكثر ما استقى منها ما يدل على الاشراف والجمال ( الور ) وهو جمال حسي أسنده في اغلب المواطن إلى الغلام .  
وفي اتجاهه للطبيعة المتحركة استقى صورته التي دلت على عالم الحيوان الذي تمثل أكثر ما تمثل في صورة الشادن الذي يوحي بشدة جمال الغلام .

## 3. الانسان :

اعتمد الحسين بن الضحاك على متعلقات الانسان في صنفين أخضعهما لصورته وهما : صنف صفات الانسان , وصف آلات الإنسان وأدواته .  
لذا نرى انه ذكر أطوار الانسان وادواره في حياته ومروره باحوال معينة مثل مرحلة الشباب , والمشيبي , وقد صور ذلك بقوله : ( على بحر المتقارب : البيت 269 )  
هو الشيب حل بعقب الشباب فأعقبني خوراً من أشر  
وكتوله : ( على بحر الطويل : البيت 193 )  
محنة الاطراف رود شباهما معقرية الصدغين كاذبة الوعد  
وكتوله : ( على بحر الطويل : البيت 365 )  
تذكر من عاداته ما تذكرنا وأعول أيام الشباب فآكثرا

- ومن آلاته وأدواته المستخدمة :

الكأس , والسهم , والخلخال , والمعجر , والشنف , والقراير , والنواقيس , والذهب , والفضة , والسيوف , والحصون , والقميص , والمئزر , والمال , والمزمار .  
كتوله : ( على بحر السريع : البيت 335 )  
آذتك الناقوس بالفجر وغرد الراهب في العمر  
2. المصادر الثقافية :

وهي الصور التي اختارها الحسين بن الضحاك من القرآن الكريم ، والخلاق ، والتاريخ ، ومن خلال نظره في المعارف الإنسانية والثقافات الأجنبية الوافدة على البيئة العباسية من خلال عمليات الترجمة فلقد ذكرت لك في بداية البحث هذا ، ان الحسين بن الضحان قد نشأ مع أبي نؤاس في مكان واحد، وتادبا بالصبرة ، وكانا يحضران مجالس الادباء متصاحبين كما ذكر لنا أبو الفرج في اغانيه وغيره . ولم تكن نعلم شيئاً عن طبيعة الثقافة التي كان الرجلان يتلقياها بيد إننا كنا على علم بأن العصر العباسي عصر الانفتاح على مختلف الثقافات فقد اثرت الترجمة في الادباء والشعراء ورجال الفكر بألوان من الافكار والمعلومات الجديدة والتي لم يكونوا قد تعلموها وعهدوها في بيئتهم ، فكانت ثقافتهم صورة مصغرة لثقافة عصرهم – إن صح التعبير – ومن هذه الثقافات الثقافة اليونانية والهندية والفارسية وغيرها ، ولعل أهم هذه الثقافات اليونانية المتميزة بعلم المنطق ، فقد بدا تأثيرها واضحاً في الفن العباسي إذ اضفت على عقول الفنانين من الشعراء والادباء عمقاً ودقة وتحليلاً وطرافة في التقسيمات التي جاءوا بها في دواوينهم . وشاعرنا الحسين بن الضحاك واحد من شعراء العصر العباسي وهو ابن هذه البيئة العباسية ، فكان طبيعياً أن يتأثر بهذه الثقافة الجديدة

فتراه مثلاً عندما رأى خادماً في بيت أبي كامل المهندس ، واعجبه قال فيه : ( على بحر المقتضب : 838 )

يوسف الجمال وفر عون في تعديده

فقد جمع في تشبيهه هذا بين صفتين لعدوين معروفين في القرآن الكريم ، ووضعهما في ذلك الخادم . فأخذ من يوسف صفة الجمال ومن فرعون صفة التعدي على رب العالمين ، ليجعلهما من صفات محبوبة ومعشوقة الجامع للقيضين الجمال والتعدي ، والمعروف في علم المنطق أن النقيضين الجمال والتعدي ، والمعروف في علم المنطق أن النقيضين : ( لا يجتمعان ولا يرتفعان بديهة العقل ) وكأن الحسين بن الضحاك يريد إثارة الدهشة . والحسين بن الضحاك يحسن استخدام اسماء الذين يجهم للتقرب منهم والتعريف معهم فيولد المعاني المناسبة لأسمائهم في مختلف الاغراض الشعرية ، فمثلاً اسم ( يسر ) ذلك الغلام الذي عشقه ، يريد أن يكون سهلاً معه ألا يتمنع عليه ، فتراه يخاطبه بقوله : ( المرح : البيتين 284 ، 285 )

ولو شئت تسيرت كما سميت يا يسر

وكن كاسمك لا تمنعك النخوة والكبر

فالعلاقة بين معنى اسم ير وبين ما يريده الحسين بن الضحاك منه قريبة وتوليد ( تيسرت ) من ( يسر ) لا يخلو من طرافةٍ وذكاء .

وقد يأخذ اسم الخليفة الواثق فيمنحه معنى الثقة ليمدحه بقوله :

وثقت بمن سماك بالغيب واثقاً وثبت بالتأييد أركان ملكك

ويأخذ اسم الخليفة المعتصم فيولد منه معنى الاعتصام أو اعتصامه به ولجؤته إليه فيقول : ( الكامل : البيت 103 )

أصبحت معتصماً بمعصم أثنى الإله عليه في كتبه

ويرى الحسين بن الضحاك مال للمال من أثر في نفوس الناس فيجعله مقياساً لكشف اخلاقهم ومعرفة حقيقة الصفة التي يتحلون بها من جود او بخل ، دون اعتبار لشهرة اجدادهم في الكرم وحسبهم الشريف العظيم .

إذا شئت أن تلقى خليلاً معبساً وجداه في الماضين كعب وحاتم

فحاوله عما في يديه فإنما تكشف أخلاق الرجال الدراهم

ثانياً : أنواع الصور البلاغية في شعر الحسين بن الضحاك

إن ( الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت : خرج زيد .. ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن بدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض . ومدار هذا الامر على الكناية والاستعارة والتمثيل ... فإذا قلت ( كثير الرماد ) فإنك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضايف .

مما تقدم نستنتج أن الكلام على مستويين إما حقيقة أو مجازاً ، وإن المجاز هو الاستعارة أو الكناية أو التمثيل .

وقد رتب دراستي لأنواع الصور البلاغية في ديوان الحسين بن الضحاك ، على النحو التالي : التشبيه ، الاستعارة ، الكناية . وكان مجموع الصور الموجودة في الديوان وهي (220) صورة بلاغية . وأكثر الحسين بن الضحاك منها ، اما بقية أنواع المجاز من مرسل وعقلي ومركب وغيرها ، فبعد الإحصاء وجدتها قليلة جداً ، وتكاد تكون معدومة ، فهي لا تشكل ظاهرة أسلوبية يمكن دراستها تحت أنواع الصور البلاغية في ديوانه .

أ- التشبيه

وهو من أبرز البنى التصويرية أطراداً في كلام الاس عامة ، الشعراء خاصة ، لذا نجد الحسين بن الضحاک لجأ إليه لأنه أحسن إطار يجد فيه الصور في أوضح مظهر وابين دلالة .

ويعد الحسين بن الضحاک من الشعراء المتقنين للتصوير ، وبخاصة في مجال التشبيه الذي ياقنه إتقاناً ، وخرجه غاية في الابداع والبراعية ، خالياً من التكلف ، فانظر إلى هذين البيتين وهما ( على بحر البسيط : 24 ، 25 )

لم يبق من شخصهما إلا توهمه فالشيء منها إذا استثبت كاللاء  
تمازج الروح في أخفى مداخلة كما تمازج أنوار بأضواء

يقول إنها صفت ورقت ويعني الخمرة حتى أنها لم تعد ترى فعدت كالوهم موجودة وغير موجودة في آن معاً ، وهي تتسرب إلى الروح وتحل فيه ، كما يتمازج النور بالنور ، أي أنها روح تمتزج بروح .

أما ورود التشبيه في ديوان الحسين بن الضحاک ، فقد بلغ تكرار وروده ( 66 ) ، وينسبة (30%) . ولكن عناصر التشبيه لم ترد بترتيب موحد فيها جميعاً بل خضعت لمجموعة من التنوع ، فالبتالي نجد أن أداة التشبه قد تنوعت من صورة إلى أخرى فكانت الكاف ، ومثل ، وكما ، وكأن .

وأكثر ما وجدت من استعمالات الادوات لدى الحسين بن الضحاک هي الكاف ، وكان قد وردت الكاف ( 27 ) مرة ، وكان ( 28 ) مرة فقال ( على بحر الطويل : البيت 199 )

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر وكالورد يسعى في قراطق كالورد  
وأبيض في حمر الثياب كأنه إذا ما بدا نسرينه في شقائق

وقد استعمل الحسين بن الضحاک ( مثل ) بنسبة قليلة جداً ، فقد وردت ( 3 ) مرات فقال ( على بحر الكامل : البيت 464 )  
فكشفت عن خديك لي لكشفت عن مثل المفوف

ويأتي مثلها في القة الأداة ( كما ) ، فقد ورد ذكرها ( 3 ) مرات . فقال ( على بحر الطويل : البيت 232 )  
وكلفني صبراً عليه فلم أطق كما لم يطق موسى اصطباراً على الخضر

وقال في موطن آخر ( على بحر البسيط : البيت 25 )  
تمازج الروح في أخفى مداخلة كما تمازج أنوار بأضواء

فقد شبه مازجة الخمرة لروح شاربها بممازجة الانوار بالأضواء وقد يجمع الكاف وكان في بيت واحد كما في قوله ( على بحر البسيط : البيت 318 )  
يهتر كالغصن في سلب مسودة كأن دراستها جسم من القار

وقد أكثر من التشبيه المفصل التام والبالغ ، وقلت بقية التبيهات من مثل التمثيلي والمعكوس والمحمل وانعدم وجود التشبيه المؤكد في الديوان كله .  
فمثلاً قوله على التشبيه المفصل التام ( بحر الطويل : البيت 641 )

كأن أباريق المدام لديهم ظباء بأعلي الرقمتين قيام  
فقد شبه أباريق المدام بالظباء ، ووجه الشبه اعلو والارتفاع والاستقامة والطول .

والتشبيه البالغ مثلاً قوله ( على بحر السريع : البيت 185 )  
الراح تفاح جرى ذائباً كذلك التفاح راح حمد

فهو يشبه الخمرة بالتفاح المذاب وهذه الصورة الاولى ، ثم يشبه التفاح بالخمرة المتحمدة وهي الصورة الثانية ، والشرب على كلا الحالتين او الصورتين فيه متعة ولذة ، وهذا التلاعب في الصورة وعكسه يكسب المعنى رونقاً جميلاً ويضفي عليه طرافة فنية مع ما تجمع الصورتين من معنى عميق ودقيق .

ومثل التشبيه التمثيلي قوله ( على بحر مجزوء الخفيف : 108 )  
كأنما الرش على خده ظل على تفاحة غضه

استطاع الحسين بن الضحاک في صورده على التشبيه المعكوس او ما يسميه أهل البلاغة بالطرد والعكس الذي يجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به ، كقوله : ( عى بحر الخفيف : البيت 537 ، 538 )

وصف البدر حسن وجهك حتى حلت ابي لما أراه أراكا  
وإذا ما تنفس الترحس الغض توهمته نسيم شذاكا

هذا التشبيه وإن كانت فيه مبالغة من حيث المعنى ، وخروج على مألوف العادة بتشبيه الفروع بالأصول ، إلا أنها لا تخرج عما قيل في المبالغة والعلو . حتى أن بعض النقاد والأدباء القدماء يستحسن هذا النوع من التشبيه في غرض الغزل ، أو ليس من العادة والعرف ان يشبه الحسين بن الضحاك الوجه الحسن بالبدن ، فلما عكس الحسين بن الضحاك القضية جاء البيت حسناً لا نقياً .

ومثل التشبيه الممثل قوله ( على بحر البسيط : البيت 4 )

ففي غد لك من زهراء صافية بطيرنا باذ ماء ليس كلماء

ولقد أجاد الحسين بن الضحاك في بعض التشابيه ، وقصر في بعضها وذلك لأنه - وكما ذكرنا - يستدعي للإلقاء الارتجالي في أي مناسبة أو غرض في نفوس الخلفاء أولياء نعمته : والارتجال لا يترك الشاعر فرصة التعمق في الصور التي يأتي بها في شهره .

ويبدع الحسين بن الضحاك في تشبيهاته ، فترسم مخيلته صوراً فنية رائعة وغريبة ، بيد أن غرابتها لا تصل بنا إلى درجة الغموض والإبهام ، وكقوله في هذه المقطعة وهي ( على بحر مجزوء الرمل : الابيات 44-47 )

أدر الكأس علينا أيها الساقى لنطرب

ما ترى الليل تولى وضياء الشمس يقرب

والثريا شبه كأس حزين تبدو ثم تغرب

وكان الشرق يسقي وكان الغرب يشرب

فنلاحظ في هذا المقطعة براعة الحسين بن الضحاك المتمثلة في مزجه بين الصورة الطبيعية للشروق والثريا وبين الصورة الخيالية التي يرسمها للشرب والكأس ليخرج لنا صورة في غاية البراعة والجمال . فهو يرى ضوء الشمس حيث يلوح في الفضاء قبل شروقها وفيها ذلك اللون الذهبي المشوب بحمرة خفيف . فيستدعي ذلك في ذهنه لون الخمرة التي يشربها والتي كثيراً ما شبهوها بالنور والضياء ، ويرى الثريا في السماء وقد مالت نحو الغرب فيشبهها بكأس الخمرة ، وتكتمل في ذهنه عناصر الصورة كلها إذ يرى الشرق يثب من حمرة ضيائه في كأس الثريا ليشرّب فيها الغرب الذي تتجه إليه بمسيرتها . وعلى الرغم بساطة الألفاظ المستخدمة في الصورتين الطبيعية والخيالية إلا أن المعنى عميق - كما رأينا - ولا يصل إلى الغموض مع ما فيه من وضوح وقرب من الذهن ، فأسلوبه كما ذكرنا من صنف الأسلوب السهل الممتنع .

ب- الاستعارة

وقد بلغ تكرارها في ديوان الحسين بن الضحاك (115) مرة ، وبنسبة (52%) من مجموع الصور ، وجاءت في معظم الأغراض الشعرية الموجودة في الديوان . وقد وردت الاستعارة المكنية والتصريحية في ديوان الحسين بن الضحاك .

(1) الاستعارة المكنية

وقد وردت في الديوان ( 100 ) مرة ، وجاءت في معظم الأغراض الشعرية الموجودة في ديوان الحسين بن الضحاك . كما في قوله في الخمرة ( على بحر مجزوء الرمل : البيت 882 )

قد حلبت الدهر طورين خليا وشجياً

ففي قوله ( قد حلبت الدهر ) استعاره مكنية حيث صور الدهر بالناقة وقد حلبها الحسين بن الضحاك مرتين في حالة الضيق والسعة .

ونجد في رثائه لأبي نؤاس مثلاً آخر للاستعارة المكنية على ( بحر المنسرح : البيت 752 )

كابرنيك الزمان يا حسن فخاب سهمي وأفلح الزمن

ففي قوله ( فخاب سهمي ) استعادة مكنية حيث صور الزمان بالجندي المقاتل ، وأنه يراميه ، وخاب سهم الحسين بن الضحاك ، وأفلح سهم الزمان . (2) الاستعارة التصريحية

وقد بلغ ورودها في الديوان ( 15 ) مرة ، وجاءت في الأغراض التالية : الغزل والخمرة والمدح .

نلاحظ في غرض الغزل مثلاً الاستعارة التصريحية في قوله (( على بحر المجتث : البيت 76 ))

نصبت نقطة خال فصدت طائر قلبي

ففي قوله ( فصدت طائر قلبي ) استعارة تصريحية ، إذ صور الغلام بالصياد وقد نصب نقطة الخال في خده ، فصار فصاد طائر قلب الحسين بن الضحاك ونجدته في موطن آخر في غرض الغزل (( على بحر المتقارب : البيت 594 ))

فشبكت كفي علي كفه واصغيت التم درا بفم ففي قوله ( درأ) استعارة تصريحية , إذ شبه الأسنان بالدر وحذف المشبه وهو ( اللمعان ) وصرح بالمشبه به وهو ( الدر ) ففي هذه الاستعارة إجماء بالجمال والقيمة الثمينة للخمرة , وكذلك شبه سطح الخمرة بالعرش وحذف المشبه وهو ( السطح) , وصرح بالمشبه به وهو ( العرش ) وفي هذه الاستعارة الثانية إجماء بالعظمة , ففي هاتين الاستعارتين التصريحيتين تتحدد مكانة الخمرة من نفس الحسين بن الضحّاك وعظمتها .

إمام تضمن أنوابه على سرجه قرماً من بشر

ففي قوله ( قرماً من بشر ) استعارة تصريحية حيث صور الخليفة بالقرم , وحذف المشبه وهو الخليفة , وأبقى المشبه به وهو القمر ... , وكما ذكر عبدالقاهر الجرجاني في حديثه عن الاستعارة بقوله (( تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ))

(ج) الكناية

بلغ عدد تواتر الكناية في ديوان الحسين بن الضحّاك (39) مرة , وبنسبة (18%) , وتنقسم من حيث المكى به إلى ثلاثة أقسام .

القسم الاول : كناية يطلب بها صفة من الصفات , ومثالها قوله على بحث (( مجزوء الوافر : البيت 750 ))

لها في وجهها عكن وثلثا وجهها ذقن

أراد الحسين بن الضحّاك - وهو يهجو تلك المغنية - أن يصفها بالقبح , فكفى عن ذلك بالعكن وهو ما انطوى وتفتى من لحم البطن ووضع ذلك في وجهها و ووضع معه الذقن كناية عن كثرة الشعر في وجهها , ففي هذا البيت كناتين الأولى ( العكن ) والثانية ( الذقن ) فرسم بذلك صورة كاريكاتورية تبين لك قبح المغنية المهجوة , ولا تكتمل صورة القبح التي رسمها الحسين بن الضحّاك لها إلا مع بيته الثاني إذ يبين بشاعة ذلك الوجه ( وجه المغنية ) من خلال الاسنان المشبهة بريش البط وبين أصولها العفن

واسنان كريش البط بين أصولها عفن

والقسم الثاني : كناية يطلب لها موصوف , ومثالها قوله : (( على البحري الخفيف : البيت 74 ))

قم إلى سيد البرية عني قومه تستجر حسن خطاب

هنا الحسين بن الضحّاك بمدح عمرو بن مسعدة قائلاً له قم إلى ( سيد البرية ) وهي كناية يطلب بها موصوف , وهو المأمون , وفعل الأمر هنا الغرض منه الالتماس , فالحسين بن الضحّاك يلتمس من صديقه الوزير عمرو بن مسعدة أن يقوم إلى ( سيد البرية ) المأمون , فيصلح ما بينه وبين المأمون , ويبدو أن هذه الكناية حركت وجدان عمرو بن مسعدة ف ( سيد البرية ) ليست مقتصرة على أن المأمون سيد العرب فقط بل هو سيد العرب والعجم على حد سواء , أي سيد الجميع .

والقسم الثالث : كناية يطلب بها نسبة , ومثال ذلك قوله (( على بحر الطويل : البيت 324 ))

شكوت الهوى يوماً إليه فقال لي مسيلمة الكذاب جاء من القبر

( مسيلمة الكذاب ) كناية عن شدة الكذب , فالحسين بن الضحّاك عندما شكى للغلام حبه وهيامه به , قال الغلام له : مسيلمة الكذاب جاء من القبر , ويعني بذلك أن الحسين بن الضحّاك في حبه وعشقه له كمسيلمة الكذاب حينما أدعى النبوة زوراً وكذباً وقد يتخذ الحسين بن الضحّاك في البيت الواحد مجموعة كبيرة من الكنايات وذلك لأظهار الصورة في ثوبها الأكمل , ومعناها الأعمق وتقسيماها الألفظ , ومن ذلك قوله في جارية لأم جعفر (( على بحر الطويل : البيت 192 ))

مؤزرة السريال مهضومة الحشى غلامية التقطيع شاطرة القد

ففي هذا البيت تزدحم الكنايات ( مؤزرة السريال ) كناية عن أن ثيابها ثياب غلمان , و ( مهضومة الحشى ) كناية عن أن حصرها نحيف أو أنها نحيفة الخصر , و ( غلامية التقطيع ) كناية عن أن شعرها قصير كالغلمان , و ( شاطرة القد ) كناية عن رشاققتها وجمال عودها .

تلك كانت أبرز أنواع الصور البلاغية في شعر الحسين بن الضحّاك , ونلاحظ قلة هذه الصور البلاغية (220) صورة في ديوان يضم (851) بيتاً شعرياً .

ويبدو أن الحسين بن الضحّاك لم يكن مولعاً بالصور البلاغية . فأسلوبه أقرب إلى مجازاة الطبع , ودون أي تكلف , ولكنه يحسن استخدام أسماء من يجب للتقرب منهم والتظرف معهم . , فما هو يخاطب بقوله (( على بحر الهزج : البيت 284 ))

ولو شئت تيسرت كما يسر

وقوله في غلام آخر اسمه (( رزق )) (( على بحر السريع : البيت 522 ))

يا ليت رزقا كان من رزقي يا ليته حظي من الخلق

وقوله : أيضاً - في امرأة اسمها فتن (( على بحر مجزوء الخفيف : البيت 705 ))

لا تلمني على فتن إنما كاسمها فتن

ولا يتردد أبداً في استخدام المحسنات والبديعية إذا كانت هذه المحسنات تساعد في التعبير عن مشاعره وأفكاره دون أن يبدو على شعره أي نوع من أنواع التكلف أو الرغبة في الصنعة مجرد الصنعة فمثلاً قوله (( على بحر السريع : الأبيات 773 - 776 ))

بجرمة السكر وما كانا عزمتم أن تقتل إنسانا

أخاف أن تهجرني صاحياً بعد سروري بك سكرانا

إن بقلبي روعة كلما أضمر لي قلبك هجرانا

يا ليت ظني أبداً كاذب فإنه يصدق أحياناً

ونلاحظ في هذه المقطعة مدى براعته في استخدام الطباق والمقابلة في قوله : ( صاحياً، سكرانا ) و ( كاذب، يصدق ) والطاق والمقابلة كما هو معروف لهما دلالتهم في إيضاح المعاني عبر التضاد : لأن معاني المفردات والعبارات تتكشف عن طريق اضدادها ، والحسين بن الضحّاك إذ يعتمد إلى هذه الألوان من المحسنات ، فإنه لا يكثر منها ، ولا يتكلف أو يتصنع في إيرادها ، بل يدعها وكأنها تأتيه عفواً الخاطر .

وإذا كان الحسين بن الضحّاك غير مولع بالصور البيانية والبديعية ، وقد لاحظنا قلتها في ديوانه ، فما اللافت لأنظارنا في البنية التصويرية عند الحسين بن الضحّاك .

لقد لفتت أنظارنا أمور ثلاثة وهي :

1. صور استقهاها من القرآن الكريم ، ووظفها في غرض الغزل بالغلما .

2. وصور كاريكاتورية جاءت في غرض الهجاء.

ثالثاً : دور البنية التصويرية في شعر الحسين بن الضحّاك

إن (( مواضيع الكلام مهما كانت يستقطبها عالمان : عالم المحسوسات وعالم المجردات ، ولعل المنتظر من أية عملية من عمليات التصوير أن تكون الصور المجردات ، ولعل المنتظر من أية عملية من عمليات التصوير أن تكون الصور منها محسوسة ، اعتماداً على ابسط مبادئ التبليغ المتمثل في تقريب المعنى من المأخذ وإيصال حقيقته إلى الإدراك عن طريق المحسوس المجرى والمشاهد المعاش ))

إذا هناك عالمان : عالم المحسوسات وعالم المجردات ، يستقطبان مواضيع الكلام ، فأبي العالمين وجدناه في ديوان الحسين بن الضحّاك ؟ أن هما العالمان موجودان في ديوانه ؟ لقد لعب العالم المحسوس دوراً بارزاً في البنية التصويرية في شعر الحسين بن الضحّاك ، فكان أكثر حضوراً وفاعلية في ديوانه وقد ركز الحسين بن الضحّاك على الصورة البصرية ، وذلك لكونها الطريقة المثلى في التشخيص ، فجاءت جل صورته تشخيصية تجسيدية في كافة الأغراض الشعرية الموجودة في ديوانه ، ومن أمثلة التشخيص عند الحسين بن الضحّاك قوله (( على بحر مجزوء الرمل : البيت 47 ))

وكان الشرق يسقي وكان الغرب يشرب

فقد جسم وشخص ( الشرق ) وهو إحدى الجهات الأربع ، وجعله في صورة إنسان يسقى الخمر ، لم يكتف بذلك ، بل جسم وشخص ( الغرب ) أيضاً وجعله في صورة إنسان يشرب الخمر ، وكان الشرق والغرب شخصان أحدهما يسقي والآخر يشرب .

ومن تشخيصاته اللطيفة الصورة التالية ، إذ يجعل من ( الآمال ) انساناً لا يعرج على أحد سوى الحسن بن سهل (( على بحر الوافر : البيت 570 ))

أرى الآمال غير معرجات على أحد سوى الحسن بن سهل

وهذا من بديع تشخيصاته ، فقد أضفى على ( الآمال ) وهو شيء معنوي من مظاهر الحركة والقدرة ، فقد جعل منها كائناً حياً يعرج على الحسن بن سهل دون أي أحد .

و تلك كانت البنية التصويرية في ديوان الحسين بن الضحّاك ، فقد قدمت لنا - في مجملها - شاعراً مبتهجاً ، فرحاً بالحياة ، ولا يريد ان يبارح لحظات الأُنس والسعادة والهناء ، و اللذائذ بكافة أنواعها ، وقد أعطته الدنيا عمراً مديداً ، ونجاحاً في بلاط الخلفاء ، وأعطته شاعرية ، عرف غالباً كيف يحسن استخدامها ليضمن لنفسه حياة مترفة وليأخذ منزلته بين شعراء العصر العباسي ، و العرب عامة.



### الخاتمة

يمكنني أن أعرض النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو الآتي:

- (أ) لقد كان مصادر البنية التصويرية في شعر الحسين بن الضحاك مأخوذة من مصادر كثيرة ، بيد أن أكثرها حضوراً في ديوانه هي:
- 1) المصادر التحريبية : هي المصادر التي لا بد وان الحسين بن الضحاك جرحها بمقتضى ملازمته و معاصرته للإنسان ووجوده في محيطه وبيئته . فقد انتزع الحسين بن الضحاك صورها من الطبيعة الجامدة و المتحركة والانسان.
- 2) المصادر الثقافية: وهي الصور التي استعملها الحسين بن الضحاك من القرآن الكريم ، من خلال نظرتة في المعارف الانسانية و الثقافات الاجنبية الوافدة على البيئة العباسية و بالخصوص الثقافية اليونانية المتميزة بعلم المنطق وقد بينت ذلك في هذا البحث.
- (ب) أما أنواع الصور البلاغية في ديوان الحسين بن الضحاك ، فقد جاءت الاستعارة في المرتبة الاولى إذ بلغ عدد تكرارها (115) مرة وبنسبة (52%) ، تلى ذلك التشبيه وجاء عدد تكراره (66) وبنسبة (30%) ، ثم الكمية من الصور البلاغية تبدو قليلة إذا ما قيست بديوان يحمل (851) بيتاً من الشعر ، فالحسين لم يكن مولعاً بالصناعة البيانية و التلاعب بأنواع الصور البلاغية فأسلوبه اقرب الى مجازة الطبع ، وقد استخدم بدلاً من ذلك مشاهد و تصويرات أضعف على القصائد و المقطعات و التنف طابع الحركة و الحياة للمشاهد الواقعية ، ولقد لفت انتباهنا صورة الليل في شعره ، الصور الكاريكاتورية ، و الصور التي استقاها من القرآن الكريم ووضعها في غزله بالعلمان.
- (ج) وقد لعبت البنية التصويرية دوراً مهماً في ديوان الحسين بن الضحاك ، فاتجهت نحو عالم المحسوسات، فبرز التشخيص و التجسيد في قصائده و مقطعاته و تنفه . وأعطينا صورة واقعية لمجريات الامور في عصره مع الخلفاء و العلمان و الجوّاري ... وغيرهم.
- (ح) لعبت البنية التصويرية دوراً مهماً في ديوان الحسين بن الضحاك إذ اتجهت نحو عالم المحسوسات ، فبرزت التشبيهات الحسية المتمثلة في التشخيص و التجسيد و الأنسنة في قصائده و مقطعاته و تنفه ، وابتعد عن التشبيهات العقلية ، المتمثلة في التجريد و الوهم إلا في النزر اليسير من نصوصه ، وإن استناده إلى التشبيهات الحسية يدل على شدة تعلقه بالجوانب المحسوسة في الحياة ، فأصبح ديوانه صورة واقعية لمجريات الامور في عصره مع الخلفاء و العلمان و الجوّاري ... وغيرهم.

### قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- 1- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 926/711) لسان العرب، ط 3 .- بيروت : دار صادر .- 1994/1414 .- المجلد الحادي عشر.
- 2- ابن النديم ، محمد بن أبي يعقوب اسحاق الوراق النديم البغدادي (ت995\380).- الفهرست : تحق ناهد عباس عثمان.- ط1.- قطر: دار القطري بن الفجاءة ، 1985/1405.
- 3- الأصفهاني ، أبو الفرج (ت966/356).- الأغاني: شرحه عبدعلي منها.- ط2 (طبعة جديدة مصححة ومنقحة).- بيروت: دار الكتب العلمية، 1992/1412.
- 4- امرؤ القيس، حندح بن حجر الكندي.- ديوان امرئ القيس. -لا.ط.-بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ، 1986/1406.
- 5- الطرابلسي (محمد الهادي).- خصائص الاساليب في الشوقيات .- لا.ط.- تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1881/1401.
- 6- عمر (أحمد مختار).- علم الدلالة.- ط1.- الكويت: مكتبة دار العروبة للنشو والتوزيع، 1945/1365.
- 7- المظفر (محمد رضا).- المنطق .- ط2.- بيروت: دار التعارف للمطبوعات ، 1985.6/1405